

Applications of the Linguistic Textbook to Modern Arabic Literary Discourse - An Analytical and Descriptive Study

Djelikhi Belkacem¹

¹The Higher Normal School of Bouzaréah (Algeria).

Email Author: kacemjelikhi@yahoo.com

Received: 09/2023

Published: 09/2023

Abstract :

We decided to select a specific blog for our research from Algerian literary heritage and conduct a modern study using the analytical approach. Through this, we aim to demonstrate the coherence and textual interconnection that characterize Algerian literature. This blog is represented by the texts of Mohamed Bashir El-Ibrahimi in his book "Al-Athar" (The Traces). We specifically chose this blog because it represents an Algerian heritage left to us by Mohamed Bashir El-Ibrahimi. Furthermore, it contains linguistic secrets and intellectual treasures, especially in the realm of language. The choice of textual analysis is based on its alignment with the study of literary texts. This study attempts to approach the texts in the light of textual linguistics, by revealing the mechanisms that have been applied to them and investigating the methods that contributed to their construction. We have reached a number of conclusions where the textual nature of Algerian literary texts is achieved through the interaction with other texts and their alignment with similar texts. The contextualization also played a significant role in establishing a solid entity for the construction of the blog. It has played an important role in achieving coherence and a strong interconnection within the text.

Keywords: textual linguistics, context, intertextuality, structure, Algerian literature.

تطبيقات منهج لسانيات النص على خطاب الأدب العربي الحديث

- دراسة تحليلية وصفية -

جليخي بلقاسم¹

¹المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر).

الملخص:

ارتأينا أن نختار مدونة خاصة لبحثنا من التراث الأدبي الجزائري ونقوم بدراسة دراسة حديثة مطبقا عليها المنهج التحليلي، محاولين من خلال هذا إثبات التماسك والترابط النصي الذي يمتاز به الأدب الجزائري وتمثلت هذه المدونة في نصوص محمد البشير

الإبراهيمي من خلال كتاب الآثار. وقد وقع اختيارنا على هذه المدونة بالذات لأنها تمثل تراثا جزائريا تركه لنا محمد البشير الإبراهيمي، زد على ذلك أنها تشمل أسراراً ودرراً معرفية في اللغة خاصة، واختيار الدراسات النصية باعتبارها دراسة موافقة لتحليل النص الأدبي . هذه الدراسة محاولة لمقاربة النصوص في ضوء لسانيات النص، وذلك بالكشف عن الآليات التي حققت لها النصية ، والبحث في السبل التي أسهمت في بنائها ، إذ قد توصلنا إلى جملة من النتائج التي تمّ فيها نصية نصوص الأدب الجزائري من طريق موضوع النصوص الأخرى وتناصها مع النصوص الماثلة، و موضوع سياقها ، الذي أقام للمدونة كيانا محكم للبناء، إذ مثلّ دورا مهما في تحقيق التماسك، والترابط الشديد للنص.

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، السياق، التناص، البنية، الأدب الجزائري.

مقدمة

انتقل البحث اللساني من الجملة إلى الوحدة الأكبر المتمثلة في النص، ضمن مجال علم عرف بلسانيات النص يهتم بدراسة ترابط النصوص وذلك بمفهوم يقتضي أنّ النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل وإنما هو وحدة لغوية نوعية ميزتها الأساسية الاتساق والانسجام بالإضافة إلى دراسة مدى تأدية هذه النصوص لوظيفتها التبليغية أي لمقاصد مؤلفيها ضمن سياقات محددة، دون أن تجحد لسانيات النص الدور الذي قامت به الدراسات اللغوية الأولى، فلسانيات النص حاولت الربط بين الدراسات اللغوية الأولى التي شملت الجملة وبين الدراسات النصية، فكان اهتمام الدراسات اللسانية الحديثة بالدراسة اللغوية للأبنية النصية وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي. ويعتمد في بناء النص على نصوص أخرى التي تساعد على إنتاج النص المائل وهذا ما يؤكد عليه التناص عند صناعة النص ، فالتناص يتم التركيز عليه من طريق النصوص الغائبة التي تعدّ جزءاً أساسياً عند منتج النص، وهذا من منطلق علم اللغة النصي، أمّا عن سياق الموقف الذي يعرف بالمقام ومدى تأثيره في تلاحم أجزاء النص وتكوين نسيجه، إذ لا يمكن فصل النص عن سياقه، لهذا اعتبر

السياق نصا مصاحبا في إنتاج النصوص وهذا ما أشار إليه الباحث اللغوي اللساني هاليداي ورقية حسن . لذلك يعتبر كل من النص الغائب والمصاحب من أبرز القضايا - بعد الاتساق والانسجام - التي لقيت اهتماما كبيرا عند أصحاب علم اللغة النصي وعند العرب في دراستهم للنصوص الأدبية ، لذا عزمنا على القيام بهذه الدراسة المتواضعة في تطبيق علم اللغة النصي والبحث في دور النصوص الأخرى الغائبة والمصاحبة التي لها علاقة بنص الإبراهيمي الموسوم بعنوان **تعطيل مدرسة "دار الحديث"**، قصد الوصول إلى الهدف النهائي وهو إثبات تماسكها النصي من خلال هذين المعيارين التناص والسياق .

1/النص : : تعطيل مدرسة "دار الحديث"¹

تعوّدتنا أن نكظم الغيظ إذا كرتنا الحوادث، وتعوّدتنا أن نطوي النفوس على مكروها إذا رمتنا الأيام بما لا صبر عليه، شنشنة من الصبر طبعنا عليها ديننا، وخُلّق من الرزانة هدّتنا إليه التجارب المتكررة، خصوصا بعد أن أصبحنا نساوم على الصبر، وأصبحنا نُرمى بالأحداث عن عمد، استفزازا لعواطفنا، وتحريكًا لشواعرنا، واستدراجًا لنا إلى المعاطب إن غلبنا على الصبر فبدرت منا بادرة.

وتعطيل مدرسة "دار الحديث" مسألة لا تهمّ جمعية العلماء وحدها بل تهمّ الأمة الجزائرية كلها، وتثير شعورها كلها إلا فلولا من المنهزمين في معارك الحق لا يقيم لهم وزن ولا تعتبر لهم قيمة، فكان اللائق أن يذل في الصحف خبر التعطيل، وأن تدوي حوله صرخات الغضب، وقد بلونا هذه الأمة الوفية في هذه السنوات الأخيرة، فرأينا من آيات شعورها بوجودها أنها أصبحت تتأثر فرحًا بالأعمال التي تحقّق ذلك الوجود فتندفع في الطرب والابتهاج إلى الحدّ الذي يشبع ذلك الشعور، وتتأثر حزنا لحدوث المعاكسات لتلك الأعمال فتندفع في الغضب والاحتجاج على مقدار ذلك الشعور.

ومن المصائب "الاستثنائية" على هذه الأمة أن القوانين تفرض عليها أن تفرح بمقدار وأن تحزن بمقدار. وإنّ شرّ ما تبلى به الأمم التحكّم في العقائد والتحكّم في الضمائر، وقد ابتليت هذه الأمة بهذا الشر من جهة الجامدين الذين تحكّموا في عقائدها، ومن جهة

المستبدّين الذين تحكّموا في ضمائرهما، وهي الآن في دور اجتلاء بين شعورها بحقّها في الوجود، وبين هذه الحواجز والسدود، التي يُقيّمها لها أهل الاستبداد وأهل الجمود، والعاقبة للمتقين.

وقد اجتمع الموجبان - موجب الفرح وموجب الحزن - حول "دار الحديث"، فتحناها في 27 سبتمبر الأخير، فاحتشدت في تلمسان عشرون ألفاً من أبناء هذه الأمة في حفلة ضاحكة مستبشرة يعلوها جلال العلم ووقار الدين وسكينة التقوى وروعة النظام، وتجمعها جامعة الابتهاج بأعظم معهد علمي ديني شُيّد بأموال الأمة في الجزائر الحديثة، وينطق ذلك كله بأنّ الأمة المتمثلة في تلك الألوّف قد شعرت بوجودها، وأنها مندفعة اندفاعاً نفسانياً إلى إقامة البرهان على ذلك الوجود، بشهودها لذلك المشهد وظهورها بذلك المظهر كأنها تقول لمن يتمارى حتى في القمر إذا اتسق: ها أناذة أفكر بفكري، وأقدّر برأيي، وأعمل بيدي، وأنفق من مالي. ولكن القانون الذي يفرض عليها أن تفرح هوناً ما، رأى أنها تجاوزت الحدّ وأسرفت في الفرح فسكّت ثلاثة أشهر يحاول هضم هذا التعدي منها فلم يستطع، ويحاول محاكمة كل من حضر فلم يستطع، وبعد لأيٍ ظهر له أن يحاكم المتسبّب في تلك الأفراح وهو منشئ «دار الحديث» الإبراهيمي، بدعوى أنّه كان سبباً في جمهرة أو تجمهر الناس بدون رخصة ... ودع حديث المحاكمة فله شأن آخر، وهات الحديث عن التعطيل.

في أول جانفي وهو يوم التهادي والتواصل واجتماع القلوب على السرور عند الغربيين خرج قرار تعطيل «دار الحديث»، فجاء بدعة التحف في هدايا الموسم، وكان القرار مبهمًا غير مفسّر الأسباب ولا مميّز المقاصد، فسألنا رسمياً فقول لنا إنّ التعطيل خاصّ بالتعليم الابتدائي وإن دروس الإبراهيمي لا تدخل في القرار ولا يشملها التعطيل، وتناقلت الأفواه الخبر وبدأت بوادر الغضب والاحتجاج الصارخ تبدو، ولو زاد الغضب والهيجان لكان بردًا على أفئدة لها في ذلك هوى ولها من ورائه مأرب، ولكننا سكتنا حتى تتجلى الأسباب وتنجلي العماية، واقتصرنا على احتجاج جمعية العلماء بلسان مؤتمراتها العمالية.

ولو تعجلنا فأذعنا في الأمة خبر التعطيل، وأعطيناها ما يستحقّ من التحليل، وصبغناه بما يقتضيه الحادث من التهويل، لانفجر الغضب وتوالت الصرخات، وتدفّق سيل الاحتجاجات والمظاهرات، وإذا لوقف القانون الذي يفرض على الأمة أن تغضب بمقدار في الطريق، وإذا لسيق إلى المحاكمة والتحقيق، لا رجل واحد بل فريق، ولو قال قائل للحكومة: أخبريني، لقلت له: سلّ قرار "ريني"، ولو قال لها: اعذريني، لقلت: يأبي ذلك قرار "ريني".

هذا بعض العذر في عدم استعجالنا بنشر الحادث وذيوله، وإن كنا نعلم أن الأمة متعطشة لذلك متلهّفة عليه، وأن الرأي العام ساخط على ذلك القرار متظلم منه، وقد أوعزنا إلى بعض الصحف الفرنسية اللسان أن لا تتعجل بنشر تفاصيل الحادث إلى حين، فعدّ ذلك بعض قاصري النظر منا تقصيراً، وعدّه بعضهم تهويناً لحادث يستحقّ التهويل، وأشاع بعضهم أننا التجأنا إلى الاستجارة ببعض ذوي النفوذ عند الحكومة، وإن شيئاً من ذلك كله لم يقع، فما عهدوا منا التقصير في حادث كهذا، ولا التهوين لما حقّه التهويل، ولا الاستخذاء عند الصدمات، ولا الالتجاء إلى الشفاعات، وإنما يستخذي الجبان الوكل، وإنما يستجير المجرم المعتدي...

ونحن فقد تمرّسنا بالأحداث الفعلية والتهويلات القولية حتى لا نبالي أيها طار وأيها وقع.

وإذا ضاع حقّ النفوس المتعطشة لمعرفة أسباب الحادث فما ضاع حقّ التاريخ الذي يقصّ الخبر، لاستجلاء العبر، ودّين التاريخ أحقّ أن يُفضّى

2/ الدراسة النصية لنص: تعطيل مدرسة "دار الحديث"

1.2 آلية التمطيط :

التمطيط من خلال الشرح: إنّ تعطيل المدرسة أثر في نفسية الكاتب مما جعله يأسى ويجزن عليها، فراح يعبر عن هذا الإحساس بالتفصيل والشرح وهذا في قوله: "تعودنا أن نكظم الغيظ إذ كرّبتنا الحوادث وتعودنا أن نطوي النفوس على مكروهاها إذا رمتنا الأيام"²

ففي هذه العبارة دلت كربة الحوادث التي تصب في معنى العبارة الثانية وهي طي النفس على مكروهاها، فالكاتب وسعها بدلالة واحدة بلفظ مختلف. و قد اعتمد على التفسير من قوله: "وتعطيل مدرسة دار الحديث لا تهم جمعية العلماء وحدها بل تهم الأمة الجزائرية كلها." ففي هذه الفقرة ذكر الاهتمام الخاص ليس خاصا بالجمعية وحدها ، ثم راح يضيف المهتمين الآخرين، ونلاحظ توسعا آخر في بداية الموسم من قوله: "في أول جانفي وهو يوم التهادي والتواصل واجتماع القلوب على السرور عند الغريبين " اعتمد الكاتب بالتعريف بهذا اليوم حيث وسّع توسيعا مما أخذ له مساحة كبيرة في النص، رغم أنّ مضمون النص عن تعطيل مدرسة الحديث، فذكر جانفي - أي عيد الميلاد- إطناب وإسهاب في النص.

التمطيط من خلال التكرار:

تكرار على مستوى الكلمات: استهل النص بتكرار كلمة "تعودنا" في قوله: "تعودنا أن نكظم الغيظ، وتعودنا أن نطوي النفوس " بيّن الإمام أنّه من شيمنا وخصالنا أن نكظم الغيظ والحزن ولا نبديه لغيرنا وكان مقصده عدم انتشاره بين الشعب لكي لا تسقط هممهم أو لعدم قيام الشعب بثورة على الحكومة الفرنسية، لأنه على يقين أنّ الخسائر تكون فادحة، فحاول الإبراهيمي التكتّم عن الأمر وعدم نشره، وإنما نتصبر حتى يفرج الأمر لهذا نجده يكرر من لفظ تعودنا. فكانت وظيفة التكرار في هذه الفقرة تثبيت وتأكيد الترابط النصي وهذا ما أدلت به لسانيات النص فقد ذكر الباحثون في مجال هذا العلم، عدة وظائف يأتي على رأسها أنّه "يهدف إلى تدعيم التماسك النصي"³.

ونلاحظ في الفقرة الأولى قد أكثر من كلمة "الصبر" الذي جعل هذه الأمة أن تتحسر عن تعطيل مدرسة دار الحديث في قوله: "...رمتنا الأيام بما لا صبر عليه،...شنشنة من الصبر ...، خصوصا بعد أن أصبحنا نساوم على الصبر ...، إن غلبنا على الصبر فبدرت منّا بادرة."⁴ إنّ توظيف كلمة الصبر دلالتها أن محمد البشير الإبراهيمي لم يجد بدا ولا سبيلا لترفع هذه المحنة التي أصابت الأمة الجزائرية وهي تعطيل دار العلم

والمعرفة ومنازة المسلمين وملجأهم، فراح يكرر لفظ الصبر ليدعو الناس إليه ولا يحاول إرغام الأهالي في مجزرة دامية الخاسر فيها الوحيد المجتمع الجزائري.

وقد كرر كلمة الغضب في جل فقرات النص ومن قوله: " وأن تدوي حوله صرخات الغضب،... وبدأت بوادر الغضب، ولو زاد الغضب والهيجان،... لانفجر الغضب وتوالت الصرخات،... وإذا لوقف القانون الذي يفرض على الأمة أن تغضب بمقدار في الطريق"⁵ وتكراره لكلمة الغضب يني على أنّ الكاتب وصل إلى هذه الدرجة ووصل المجتمع الجزائري إلى درجة الغضب الشديد، ليبين للحكومة الفرنسية على أنّ هذا القرار لا يجدي نفعا ولا يؤتي بخير، لذا أعاده مرات عديدة متوالية.

وأیضا قد تكررت كلمة "القرار" في قوله: ⁶ "خرج قرار تعطيل دار الحديث،... وكان القرار مبهما،... وإنّ دروس الإبراهيمي لا تدخل في القرار،..." نلاحظ في هذه العبارة تكراره لكلمة القرار لأنّه يعتبرها اللبنة الأساسية التي نتج عنها تعطيل دار الحديث، فشغلت الكاتب وزادت من تدمره من هذه القرارات الجائرة المتعسفة.

وقد تكررت عبارة تعطيل دار الحديث التي تعتبر عنوان النص وبنيته الكلية في كل فقراته ومن قوله: " وتعطيل دار الحديث مسألتهم،... وقد اجتمع الموجهان حول دار الحديث،... وهو منشئ دار الحديث الإبراهيمي،... خرج قرار تعطيل دار الحديث." إنّ ذكره لدار الحديث يدلّ تعلقه بالدار التي تعدّ بمثابة البيت الذي يقى الإمام، لأنها المركز الأول المؤسس عند مجيئ الإبراهيمي إلى الجزائر، فتعدد تردادها علامة على العلاقة المتينة التي بينه وبين الدار.

التكرار على مستوى الصوت: تبين لنا أنّه كرر الصوت الممثل في: حرف الواو والنون وهما من الأصوات المجهورة وذلك في قوله: "وأصبحنا نرمى بالأحداث عن عمد، استفزازا

لعواطفنا، وتحريكا لشواعرنا، واستدراجا لنا"⁷ ويحدث تكرار هذه الحروف في ختام الجمل إذ نسنفها ضمن المحسن البديعي السجع .

وقد أكثر من تكرار الصوت الذي أحدث نغما موسيقيا تمثل في الحرف: الدال وهو صوت مجهور وذلك من قوله في النص: " وهي الآن في دور اجتلاء بين شعورها بحقها في الوجود، وبين هذه الحواجز والسدود، التي يقيمها لها أهل الاستبداد وأهل الجمود." ⁸ فهذا التكرار الصوتي أعطى لنا نظاما ايقاعيا يمثله السجع وهذه خاصية لازمة في تعبير الإمام لأنه من صناع اللفظ ومحسنه.

وكذلك التكرار الذي تمثل في حرف الياء في قوله: " ها أنا ذا أفكر بفكري، وأقدر برأي، وأعمل بيدي، وانفق من مالي" و التكرار الممثل في الحرف اللام في قوله: "ولو تعجلنا فأذعنا في الأمة خبر التعطيل، وأعطيناه ما يستحق من التحليل، وصبغناه بما يقتضيه الحادث من التهويل"⁹ وإعادة الصوت الممثل في الياء في قوله: "أخبريني، لقلت له: سل قرار (ريني)، قال لها اعذريني، لقلت يأبي ذلك قرار "ريني". ولا ننسى تكرار المحسن البديعي الممثل في الطباق لقوله: "أن تفرح بمقدار، وأن تحزن بمقدار " وكذلك في قوله: "اجتمع الموجبان موجب الفرح وموجب الحزن"، إن التكرار الذي حدث على المستوى الصوتي مثل لنا عنصرا من العناصر الأساسية في تحقيق الترابط النصي ، فظاهرة السجع لها علاقة بالأصوات التي تعطي مقاطع موسيقية إيقاعية في التراكيب، فالتكرار نراه وسيلة مهمة في بناء وانتاجه النصوص .

التمطيط من خلال الاستعارة: أكثر الكاتب من استعمال الاستعارة في قوله: "نطوي النفوس"¹⁰ حيث شبه النفوس بشيء مادي يطوى حذف المشبه به وترك شيئا من لوازمه دالا عليه ألا وهو لفظ "نطوي"، وأيضا في قوله: "استفزازا لعواطفنا"¹¹ حيث شبه العواطف بالإنسان وحذف المشبه به وترك علامة وأمارة تبينه هي: "استفزاز" وهذا على سبيل الاستعارة المكنية، وكذلك في قوله: " تنقلت الأفواه"¹² إذ شبه الأفواه بالإنسان الذي

ينتقل وينتقل من مكان لآخر وحذف المشبه به وهو الإنسان ودلنا عليه بقريئة متمثلة في: "تنقلت" وهذا التشبيه من طريق الاستعارة المكنية ، زد عليه قوله: "لو زاد الغضب والهيجان لكان بردا على أفئدة لها"¹³ إذ شبه الغضب والهيجان بالماء وحذف المشبه به وهو الماء وترك ميزة دالة عليه وهي: لفظ "بردا" وهذا تشبيه من طريق الاستعارة المكنية.

التمطيط من خلال الباراكرايم: يعتبر الباراكرايم من العناصر المهمة في التمطيط إذ يمثل الكلمة المحور في النص ثم تتوالى عليها الدلالة أي تحمل دلالة التفسير ففي قوله: "الموجبان موجب فرح وموجب حزن"¹⁴ فالكلمة الأساسية والتي كانت محورا للعبارة تمثلت في الموجبان ثم راح يفصل ويفسر دلالة كلمة "الموجبان" فالكاتب طرح موجب الفرح بتأسيس دار الحديث ثم بعد ثلاثة أشهر جاء التعطيل فتأثر الإمام فكان الموجب الثاني وهو موجب الحزن والأسى.

وقد اعتمد على الحشو والتفسير في هذه العبارة من قوله: "من أبناء هذه الأمة في حفلة ضاحكة مستبشرة يعلوها جلال العلم ووقار الدين وسكينة التقوى وروعة النظام"¹⁵ بين معالم هذه الحفلة وما تحويه من فرح وسرور وجمال ووقار وإبداع وروعة، فالكاتب فصل بالإكثار من الأوصاف لهذه الحفلة والكلمة المحور تعتبر الحفلة وباقي الألفاظ ماهي إلا حشو وزيادة وظّفها الإمام ليحدث في نصه مساحة موسعة من خلال هذه الآلية.

وكذلك أيضا في قوله: "في أول جانفي وهو يوم التهادي والتواصل واجتماع القلوب على السرور" فهنا تفسير لهذا اليوم والتعريف به بأنه يوم عيد الميلاد تقام فيه الاحتفالات وغيرها.

التمطيط من خلال التصحيف: "الكتابية": نلاحظ أن الكاتب قد ضخّم حجم كلمة "تعودنا" وكتبها بلون أسود داكن وهنا تتمثل في التصحيف الكتابي.

التمطيط من خلال الأنا كرام: نلاحظ في النص أنه جعل بعض الكلمات ضمن آلية التصريف في قوله: " قيل لنا، ... قال قائل،....، قالت،... سل، قال لها،... والتهويلات القولية"¹⁶ فهذه الألفاظ كلها تصنف في بوتقة واحدة تحت فعل القول، تمّ توظيفها لبيان خبث الحكومة الفرنسية في ردها على قرار التعطيل، لتحاول ردّ الأمر وما هذا الأمر إلا أقوال فقط لا أكثر ولا أقل.

2.2 آلية الإيجاز: نلاحظ في النص تلميحاً في قوله: " شنشنة من الصبر"¹⁷ وهنا يلمح إلى قصة مشهورة سميت بـ "شنشنة أعرفها من أخزم"¹⁸، وهذا يعتبر كذلك اقتباس من الأمثال "شنشنة أعرفها من أخزم" ذكر هذا المثل في بيت شعري من قوله:

إن بني ضرجوني بالدم ... شنشنة أعرفها من أخزم

قال ابن الكلبي: إن الشعر لأبي أخزم الطائي وهو جد أبي حاتم أو جد جده وكان له ابن يقال له أخزم وقيل: كان عاقاً فمات وترك بنين فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال ذلك البيت الشعري، ويروى "زملوني" وهو مثل ضرجوني في المعنى: أي لطنخوني يعني أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق.

ونلاحظ أيضاً تلميح وإشارة إلى السنة الميلادية التي تعد احتفال الغربيين لمولد المسيح في قوله: "في أول جانفي وهو يوم التهادي والتواصل واجتماع القلوب على السرور عند الغربيين".

أما عن آلية الإيجاز التي وردت من طريق التضمين: إذ تبين لنا تضميناً في النص من قوله: "وانما يستجير المجرم المعتدي" قد وردت في البيت في قول الشاعر أبي نواس:

إن كان لا يرجوك إلى محسن فبمن يلود، ويستجير المجرم

وكذلك ورود الإيجاز من خلال الاقتباس من القرآن الكريم حيث قال الإمام : " نكظم الغيظ"¹⁹ فقد اقتبست من الآية الكريمة لقوله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾²⁰.

وأيضاً اقتباس من القرآن الكريم لقول الكاتب: "نطوي النفوس" إذ تناصت مع قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾²¹، وكذلك في قول الإمام: "في القمر اتسق" تناصت هذه العبارة مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾²².

وأيضاً من قوله: "والعاقبة للمتقين" تناصت مع سورة القصص من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾²³.

ومن قوله: "ضاحكة مستبشرة" وردت في سورة عبس من قوله تعالى: ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40)﴾²⁴.

تعتبر هذه النصوص الغائبة المستوحاة من الذكر الحكيم مساهمة في بناء النص الحاضر، فالإمام محمد البشير الإبراهيمي أنتج نصه من طريق تلك التفاعلات والتداخلات للنصوص الأخرى الغائبة سواء من القرآن الكريم أو غيره.

3.2. سياق الموقف :

أ/ مجال الخطاب: الموضوع الذي تناول الإبراهيمي في هذا النص تجلّى في الأمر الجلل والعظيم الذي أصيبت فيه الأمة وهو صدور قرار توقف عمل دار الحديث التي أسستها جمعية العلماء المسلمين وجعلتها منهلاً ينهل منها طالب العلم، وهذا القرار جاء كرد فعل لفرحة الشعب الجزائري بهذا الصرح العظيم المكنن في دار الحديث حيث دامت الفرحة، ولم تكتمل بخروج قرار التعطيل بعد ثلاثة أشهر من التأسيس، وهذا بعد الضغوطات والمتابعات التي مست مؤسس الدار وهو محمد البشير الإبراهيمي، ومن حكمة الإمام عدم نشر أمر

التعطيل لكي لا تحدث كوارث في المجتمع الجزائري، لذا استخدم الحنكة والخبرة والعقل في كيفية التعامل مع هذا القرار.

ب/ شكل الخطاب:

نوع النص: يندرج هذا النص ضمن النصوص الإخبارية التقريرية، إذ يجربنا عن هذا الأمر الجلل الذي حدث للأمة الجزائرية بتوقف عمل دار الحديث، فراح الشيخ في تفسير وتوضيح عدم الرد على قرار فرنسا وتصرفاتها.

قناة الخطاب: كتب هذا الخطاب من طريق نص مكتوب محضّر، يبين فيه أهمية الموضوع والدور الذي تقوم به هذه الدار ومدى حاجة الأمة العربية والإسلامية لها.

زمان النص ومكانه: إنّ زمن النص تمثّل عند قرار تعطيل دار الحديث بتلمسان، وقد قام بنشره محمد البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر لعدد المائة من السنة الثالثة في يوم الثامن عشر للشهر الثاني من سنة 1935م، متناولا فيه ألم الأمة الإسلامية بمدينة تلمسان.

ج/ أدوار الخطاب:

شخصية المتكلم (الكاتب): عند الاطلاع لثنايا النص وجدنا أنّ الإمام يتميز برجاحة العقل وسداد الرأي والتريث والنظر وهذا بسبب عدم تهيج الأمة الجزائرية عند صدور قرار التعطيل، زد على ذلك العزيمة والإرادة والصبر في إكمال مساره الدعوي الإصلاحية بمواصلة حلقة العلمية.

شخصية المتلقي: يتمظهر متلقي النص في الآلاف من رواد مدرسة دار الحديث، حيث تمثلت لنا نزعاتهم العلمية في السعي لطلب العلم وحرصهم الشديد عليه، وهذا ما كان من قول الإمام: "وتناقلت الأفواه الخبر وبدأت بواد الغضب والاحتجاج الصارخ تبدو"²⁵، أمّا المتلقي الآخر المساهم والمشارك في البناء هو المستعمر الفرنسي الذي قابل هاته الدار بالظلم والغطرسة، ومحكمة المتسبب في تجمهر الناس عند تأسيس دار الحديث، وقد اتسم المستعمر بنزعة القهر والظلم والاستبداد.

أثر النص الكلامي في المشاركين: تعدّ دار الحديث من اللبّات الأساسية في الحركة الإصلاحية، فمساسها يعطل من دور الجمعية الإصلاحية، لأنها تمثل المنشأ الأول في استهلال ظهور جمعية العلماء المسلمين، وعلى أساس هذا الأمر تأثر الإبراهيمي تأثراً بالغاً لهذا القرار الجائر الذي فرض عليهم إيقاف نشاط الدار، لذلك نجد مشاعره اكتنفها الحزن والألم والأسى والحسرة على دار الحديث .

أمّا أثرها في المتلقين فقد خالط نفوسهم ومشاعرهم الحزن والغضب لهذا القرار الجائر، مما جعل الآلاف من الثوار يقفون ضد المستعمر الغاشم، لكن حنكة وحكمة الإمام اتسمت بالرزانة والتريث والنظر من خارج المشكلة لا من داخلها.

3/ خاتمة

إنّ بناء النص يتمثل بعناصر متعددة يمتلكها الكاتب حتى يستطيع إنتاج النص وفق نظام محكم وهذه العناصر تتمثل في عناصر داخلية وخارجية والتي تجلت لنا في نص الإمام محمد البشير الإبراهيمي سواء من اتساق وانسجام أو تناص أو سياق وهذا البناء يعود لقوة البشير الإبراهيمي البلاغية والنحوية وحافظته القوية للنصوص الأخرى والأخص من التراث العربي القديم ، وعلى أساس ذلك فإنّ نظرية علم اللغة النصي اتضحت لنا جلياً في تراكيب الإمام من خلال نص "تعطيل مدرسة "دار الحديث" متسمة بالنصية من خلال اتساقها وانسجامها ومدى مساهمة النصوص الغائبة في إنتاجها، فالإبراهيمي كانت له القدرة والطاقة في كيفية استثمارها في نصوصه الجديدة، فأغلب نصوص الإمام غنية بالنصوص الدينية والتاريخية والأدبية والنصوص الأسطورية، أمّا فيما يخص دور السياق الموقف فهذا النص كتب من خلال حيز ومقام عاشه الكاتب فحاول من خلال هذا المقام الارتباط بالملتقي وادماج الآخرين في نصوصه، وعليه كان للسياق دوراً كبيراً في ضبط النص ونسجه، فأخرج لنا هذا النسيج مسبوكة متماسكة جميع جوانبه الداخلية والخارجية .

4/الهوامش:

- 1- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمد البشير الابراهيمي،، ج1، ص312.
- 2- المصدر نفسه، ص312.
- 3- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، (مرجع سابق)، ص21.
- 4- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج1، ص312.
- 5- المصدر السابق، ص312.
- 6- المصدر نفسه، ص312.
- 7- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمد البشير الابراهيمي،، ج1، ص312.
- 8- المصدر نفسه، ص312.
- 9- المصدر نفسه، ص312.
- 10- المصدر نفسه، ص312.
- 11- المصدر نفسه، ص312.
- 12- المصدر نفسه، ص312.
- 13- المصدر نفسه، ص312.
- 14- المصدر نفسه، ص312.
- 15- المصدر نفسه، ص312.
- 16- المصدر أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمد البشير الابراهيمي،، ج1، ص313.
- 17- المصدر نفسه، ص312.
- 18- أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، ط1، 1997، ج1، ص361.
- 19- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج1، (المصدر نفسه) ص312.
- 20- سورة آل عمران، ص133-134.
- 21- سورة الأنبياء، ص104.
- 22- سورة الانشقاق، ص19.
- 23- سورة القصص، ص83.
- 24- سورة عبس، ص39-40.
- 25- أحمد طالب الابراهيمي، أثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج1، ص313.

5/المصادر و المراجع:

1. أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج1.
2. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة مصر، د.ط.ت.
3. أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، ط1، 1997، ج1، ص361.

4. روبرت دي بوغراندي: النص والخطاب والإجراء , تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط2، 2007م.
5. سعد مصلوح، نحو أجزومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج1، ع2، 1، يوليو 1991، أغسطس 1991.
6. سعد حسن بحيري : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ، مؤسسه المختار ، القاهرة ، مصر ، ط1 2004م.
7. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2001م.
8. محمد خطايي : لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1992م.
9. محمد مفتاح، التشابه و الاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.